الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي

بقلم الشيخ سليم خطّار الدحداح (تتمّة)

٦ حكمهُ . عدلهُ . حبّهُ للشعراء والعلم (تابع)

قد أجمع معاصرو الامير بشير انهُ بمعارفه المشهورة ، بآدابه الشخصيّة، باخلاقه، وشهامته، لم يماثله احد في جبل لبنان لا في عهده ولا قبلهُ كان وبقي الى اليوم منقطع النظير

و قدارتفع شأن اللبناني وشأن المسيحي في أيام حكمه . وتوصّل هو الى عزّ ومجد لم ينلهما قبله وما نالهما بعده احد في لبنان . فلا عجب اذا احتشدت الشعراء في قصره وترنّموا بمديحه ومديح ابنائه واحفاده . بعد ان كان يُلقى هو وسلفهُ في سجن عكّا صار حين توجّهه اليها يلقى العساكر موفدةً الى ملاقاته مع الموسيقى على مسافة ساعات من المدينة وتُطلق له المدافع اجلالاً لقدومه ويخرج الوزير بالذات لاستقباله

وقد كان وقوراً مهيباً ذا منظر جليل يدعو الناظر اليه الى الاعتبار والاحترام . كما وصفهُ الشاعر لامرتين — وكما افادني عنهُ المرحوم الشيخ الياس مرعي الدحداح وقد جاء بيت الدين خصيصاً سنة ١٨٣٩ ليشاهدهُ . ولمّا دخل على الصدر الاعظم العثماني في استنبول سنة ١٨٤٢ رأى فيه من الهيبة ما دعاهُ الى ان ينهض احتراماً لهُ وكلٌ يعلم ان الصدر الاعظم وعلى الخصوص في ذاك الوقت لم يكن ليقف لاحد من غير الوزراء ولاسيما ان كان الوافد مسيحيًا وبالاخص منفيًا

واعظم شهادة على عدالة الامير بشير انهُ بعد ان انزل بالاميرين سليمان وفارس سنة ١٨٢٥ ذلك العقاب الشديد الذي يستشهد به اخصامه على محبّته دعاهما الى خدمته وعهد اليهما بالوظائف فعُدّت اعادتهما الى الوظائف دليلاً ساطعاً على اعتدالهِ

أمّا مقدرتهُ السياسيّة وتدبيرهُ للامور واتفاق كلمة الدروز والمسيحيين على الرضى بحكمه وعدم الانقياد لغيره فلنا عليه شاهد عياني وهو الشيخ مرعي الدحداح : كان هذا الشيخ مدبّرًا للامير عبّاس سنة ١٨٢٢ في غيبة الامير بشير في مصر فلما عاد الى

الحكم امر ابن اخيهِ عبدالله بسجنهِ في غزير ففرَّ الشيخ من السجن والحق بالامراء الثائرين مع الشيخ بشير جنبلاط وقاتل معهم وبعد تشتُّت شملهم فرَّ هارباً الى حلب فرسايا وعاش هناك معروفاً بعداوتهِ للامير . فبعد حوادث سنة ١٨٤٠ استدعاهُ الملك لويس فيليب ووزراؤه الى باريس واستطلعوا رأيه بخصوص لبنان فاجابهم : «لا تعود الراحة الى لبنان حتى يُعاد الامير بشير حاكماً على الجبل لانَّهُ ما من احد سواهُ يمكنهُ استلام مقاليد الحكم بكل اقتدار ولا يتفق الدروز والنصارى على طاعة احد سواه فهو العادل القادر الوحيد الذي يحترمه الجميع» — هذه شهادة عدوٍ صادق لو سقط في يد الامير لرفعهُ على الاعواد شنقاً ! وقد تكفَّلت الحوادث التي تتابعت بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠ باثبات شهادته

ثم لا يُخفى ان الشيخ طنوس الشدياق صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان كتب لجنتهُ عن الاسرة الشهابية تحت مراقبة الامير فارس بيد احمد المشار اليهِ سابقاً فكان يكتب اذن تحت نصّ خصم الامير بشير ومع هذا فانهُ عند ذكرهِ لوفاة الامير بشير قد خصَّهُ بوصفٍ قلَّما يُنعَت بهِ كثير من كبار الرجال فقال ما حرفهُ : « كان (اي الامير بشير) كامل الصفات الحميدة . عاقلاً عادلاً حليماً شجاعاً فاضلاً كريماً ديّناً مهاباً شهماً يقظاً فطناً صادقاً رزيناً حزوماً جبارًا فتَّاكاً صبورًا غيورًا » فما رأيك بصفة « حليماً » يكتبها طنوس الشدياق بنصّ الامير فارس سيد احمد عن الامير بشير ؟ أليست شهادة عدوّ واقرار واضح ؟ والفضل ما شهدت بهِ الاعداء

الخلاصة ان الامير بشير الثاني الكبير مع كل ما ارتكبهُ من الاغلاط وما نُسب اليهِ منها حقَّق في شخصهِ مثال الامير الكبير الذي اكسب اللبنانيين والموارنة اعظم فخر وسيبقى الى زمان طويل اعظم رجل اوجدهُ لبنان يليق بنا ان نشيد بذكرهِ ونفتخر بهِ دون سواه . ولا ارى ختاماً لهذه المقالة احسن من الابيات التي وردت في رثاء نظمهُ الشيخ ناصيف اليازجي في الامير سعيد خليل شهاب احد حفدة الامير وقد توفي فجأةً في بيروت ودفن في مقبرة المدوَّر سنة ١٨٥٧ فمنَّا جاء فيها في مديح الحفيد المتوفى وجدهِ الشهير واسرتهِ الشهابيَّة قولهُ :

أجلُّ بني الكرام اباً وجدًّا ... واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... بنوا في المجد اعمدةً طوالا

سليل امير لبنانَ المنادي انا لبنانُ لمَّا ملتُ مالا
اذا قلتُ الاميرُ ولم تسمّي فلا يحتاج سامعُك السؤالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قام فيه قال: لا لا
ستبكيه البلادُ ومَن عليها الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ولكن بعد ان تحصي الرمالا

هذا هو الامير بشير درّة الشهابيين فخر الموارنة واعظم رجال لبنان قاطبةً

اولاد الامير وسلالتهُ

نذكر هنا اتماماً للفائدة سلالة الامير الشهابي بشير الكبير . رُزق من زوجته الاولى الشهابية ثلاثة امراء ذكور . ومن السرّيّة الشركسيّة اميرتين فقط وهذه اسماؤهم :

١) الامير قاسم : مات منفيًّا في زعفران بول سنة ١٨٤٦ وعمرهُ ٥٨ سنةً وهو والد الامير مجيد الذي كان مرشّح فرنسة لحكومة لبنان سنة ١٨٦٠ . وسلالة الامير قاسم كثيرة الآن

٢) الامير خليل : كان رجل حرب توفي منفيًّا في استنبول قبل ابيهِ سنة ١٨٥٠ ولهُ من العمر ٦٠ سنة ومن انجالهِ الامير سعيد الذي ذكرنا بعض ابيات الشيخ ناصيف في مديحهِ (١ . وحفيدهُ الوحيد الآن سعادة الامير فائق سعد شهاب الذي كان ناظر الامن العام في لبنان الكبير

٣) الامير امين : مات مسلماً في استنبول قبل ابيهِ ايضاً سنة ١٨٥٠ وكان عمرهُ ٥٢ سنة ولم يترك نسلًا وكانت وفاة والدهم على اثر وفاة اولاده الامراء

٤) الاميرة سعدا : تزوّجها الامير سليم شهاب حفيد حسن شقيق الامير وقد ماتت في الجيّة من قضاء الشوف حوالي سنة ١٨٨٠ ولها حفيد واحد مقيم في بيروت

٥) الاميرة سعود : تزوّجها الامير خليل بشير احمد ابي اللمع من برمّانا وقد

---

١) وقد كان في عداد اولاد الامير خليل الامير مسعود الذي تولّى نظارة مالية متصرّفيّة لبنان سنة ١٨٦٤ وتوفّي مسلماً في بيروت وحفيدهُ حاضرًا سعادة نجيب بك الغيّاني نائب رئاسة بمحكمة التمييز من افاضل رجال القضاء

توفيت في بيروت سنة ١٨٦٠ ودُفنت في قبّة خاصة في مقبرة الدوَر وابنتها واحفادها اللمعيون مقيمون في انطلياس وفي جديدة بيروت

جدول

الحكّام من الامراء الشهابيين

١	الامير بشير الاول من راشيّا	١٦٩٧—١٧٠٦
٢	الامير حيدر من حاصبيّا	١٧٠٦—١٧٣٢
٣	الامير ملحم (بكر ابناء حيدر)	١٧٣٢—١٧٥٤ توفي ١٧٦١
٤	الاميران احمد ومنصور سويةً	١٧٥٤—١٧٦٢
٥	ثم منصور وحده	١٧٦٢—١٧٧٠
٦	الامير يوسف ابن الامير ملحم	١٧٧٠—١٧٨٨
٧	الامير بشير الثاني الكبير (١	١٧٨٨—١٨٤٠
٨	الامير بشير قاسم الثالث	١٨٤٠—١٨٤١

والامير بشير الثالث عزله والي ايالة صيدا المقيم في بيروت بحجّة ضعفه عن ادارة الاحكام وعلى اثر حادثة هجوم النكديين وسائر الدروز على دير القمر فحضر لبيروت ولمّا احتجّ للوالي على هذه المعاملة ارسله منفياً الى الاستانة. فاقام هناك بضع سنوات ثمّ مرض وفقد بصره فسمحت له الدولة بالرجوع الى الجبل فعاش اعمى في دارهِ في بيتنيه. وفي سنة ١٨٦٠ بينما كان منهزماً الى بيروت لحقه بعض الدروز في باتين الحدَث وذبحوهُ واخذوا رأسه الى الشويفات وكان عمره ٨٥ سنة ولم يترك اولاداً ذكوراً وهو آخر الحكّام الشهابيين

ومن هذا الجدول يستدلّ القارئ الكريم على فائدة وجود أسرة خاصّة للحكم فانّهُ في مدة الـ ١٤٤ سنة التي حكم فيها ثمانية امراء من آل شهاب على جبل لبنان

(١ وقد نازعهُ الحكم الامير يوسف ثم الاميران حيدر ملحم ونعمان محمد ثم اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم ثم الامير عباس اسعد ثم الامير سليمان سيد احمد . ثم الامير حسن علي وسليمان ذاته . ثم الامير عباس اسعد كما مرَّ بك

تولّى ٦٨ والياً على ايالة الشام و ٨٤ والياً على حلب (وذلك دون احصاء سني الاحتلال المصري اي ١٣٠ سنة فقط) واذا اكتفينا بمقابلة مدة حكم الامير بشير الثاني وحدهُ فاننا نجد في مدة الـ ١١ سنة من حكمهِ حتى في الاحتلال المصري اي من ١٢٠٣ الى ١٢٤٦ هجرية ٢٣ والياً في الشام و ١٨ والياً في حلب فتأمل !..

ملحق

نظر احمالي في احوال لبنان والاسرة الشهابيّة بعد الامير بشير

بعد عزل الامير بشير قاسم شهاب الثالث المعروف بابي طحين اراد الاتراك اغتنام فرصة الحرب بين الدروز والموارنة ليبعدوا الشهابيين عن الوظائف فامر السرعسكر بعزلهم وعيّن عمر باشا النمسوي الاصل حاكماً على جبل لبنان. فساء هذا التعيين معظم سكّان الجبل واجتمع اعيان الدروز والموارنة وتشاور ذوو الاقطاع منهم في الامر فاخذ كل منهم يرشّح اميراً من آل شهاب وطلب بعضهم اعادة الامير بشير الثاني. وقد رشّح الشيخ منصور الدحداح الاميرَ يوسف سعد الدين حفيد الامير يوسف . لكنّ اجتماعهم انفضّ بلا جدوى

ثم طلب اهل الجبل من الدولة ان تطلق لهم الحرّيّة لانتخاب حاكمهم فتظاهرت الحكومة بمراعاتهم وقد اشتهر حينئذٍ المرحوم الشيخ رشيد الدحداح بمساعدته للبطريرك يوسف حبيش والحزب الطالب اسناد الحكم الى امير ماروني شهابيّ . وحادثتهُ مع اقاربهِ في غزير مشهورة. فاصابتهُ واقاربَهُ من جرّاء ذلك مشقّات يطول شرحها (اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانيّة ص ٢٩٩—٣٠٤) فاختبأ الى ان سوّى امرَ قضيته بداخلة الكرسي الرسولي المقدس والسفارة الافرنسية

ثم اجتمع الدروز والموارنة ثانيةً وانتخبوا الامير اسعد قعدان شهاب حاكماً فاتخذ الشيخَ رشيداً مدبّراً لكن عمر باشا شتّت شملهم فاضطرّت الدولة اخيراً الى عزل عمر باشا ولكونها منعت توظيف الشهابيين حرّكت الدروز الى رفض الطاعة لحاكم ماروني واذ ذاك قسمت حكومة الجبل الى قائمقاميّتين تفصلها طريق الشام القديمة

فالشمالية دعيت قائمقامية النصارى وعُيّن لها بناء على رأي البطريرك يوسف حبيش الاميرُ حيدر اسمعيل ابي اللمع قائمقاماً. والجنوبيّة دُعيت قائمقامية الدروز وتولّاها الامير احمد ارسلان. لكنّ بلاد جبيل والكورة ضُمّت رأساً لحاكم طرابلس لسبب وجود بعض المسلمين فيها. امّا اهالي دير القمر فانهم لاجل عداوتهم مع مشايخ آل ابي نكد حكّام مقاطعتهم التمسوا إلحاقهم رأساً بوالي ايالة صيدا الذي كان جعل مركزهُ في بيروت. فسُرّت الحكومة بذلك ولبّت طلبهم رافعةً سلطة قائمقام الدروز عنهم معتبرةً ذلك خطوة جديدة للتمكن من ضمّ لبنان الى ايالة صيدا

وقد كان هذا التقسيم سبباً لزيادة المنازعات بين اصحاب المقاطعات الدروز واهالي مقاطعاتهم المسيحيين وكان رجال تركيا ينفخون في النار ليزيدوها ضراماً ويتمكنوا رويداً رويداً من نزع السلطة من ايدي ابناء البلاد بحجّة تعصّبهم وشدة عداواتهم وبغض بعضهم لبعض. ولمّا حدثت المقاتلة الثانية في سنة ١٨٤٥ بين الدروز والموارنة حضر ناظر خارجية تركيا المسمى شكيب افندي الى الجبل وتولّى بذاته التحقيق وبعد اعادة النظر في تنظيم الحكومة اثبت مبدأ القسمة في الحكومة. ثم ضمّ بلاد جبيل والكورة الى القائمقامية النصرانية وشكّل المجالس في القائمقاميتين وعزل الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز وعيّن محلّهُ اخاه الامير امين. وفي سنة ١٨٥٤ توفي الامير حيدر قائمقام النصارى فعيّنت الدولة العثمانية الامير بشير احمد ابي اللمع قائمقاماً خلفاً لهُ. ولمّا توفي الامير امين ارسلان قائمقام الدروز تعين كبير اولاده الامير محمّد خلفاً لهُ سنة ١٨٥٩ وهو في العشرين من سنّه

وقد كان عهد القائمقاميّتين مملوًّا بالاضطرابات والقلاقل وكانت تزيدها سعيراً دسائس رجال تركيّة. ففي كسروان قامت الاهالي على المشايخ وطردوهم. وفي المتن انقسم الامراء اللسعيّون والاهالي بين مساعد للقائمقام وبين معاكس لهُ فاضطرّ للهرب واقيم الامير حسن من بسكنتا وكيلاً عنهُ. وفي القائمقامية الدرزيّة تفاقمت الشائعات بين دروز ونصارى الى ان وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة ولمّا تبيّن ان المذابح تولّاها الجنود حيثما وُجدوا اي في دير القمر وحاصبيا وراشيا ودمشق تداخلت الدول وارسلت فرنسة المنفذة ستة آلاف جندي بامرة الجنرال بوفور وحضرت اساطيل الدول الى مياه بيروت وجاء فؤاد باشا مندوباً سامياً عثمانيًّا فاجرى القصاصات

الارهابيَّة في دمشق وبعض المدن والقى القبض على زعماء الدروز ومئات من رجالهم فوُضعوا في السجن . وتألفت لجنة دولية لسنّ نظام جديد في جبل لبنان. وقد كان ممثلو فرنسة يريدون إعادة الحكم الوطني الى جبل لبنان وكانوا يرشحون لذلك المنصب زعيم الامراء الشهابيين وقتئذٍ وهو الامير مجيد حفيد الامير بشير الثاني الكبير قاصدين ان يستمرّ المنصب بالارث في الاسرة الشهابية . فقطن فؤاد باشا للامر وقد كان عيّن عند قدومه الى سوريَّة يوسف بك كرم وكيلاً لقائمقامية النصارى قصْدَ إثارة الاحزاب بين النصارى لانهُ ليس من عائلات اصحاب الاقطاع فلا فاةً لتولية الشهابيين وعد يوسف بك كرم سراً بتعيينه حاكماً لكل الجبل اذا تمكّن من عمل عريضة موقّعة بامضاءات اهالي الشمال الموارنة يعترضون فيها على ترشيح الامير مجيد وعدم قبولهم بهِ حاكماً . ففعل وقدّم لهُ عريضة بهذا المعنى عليها الوف من التواقيع التي لا يصعب على وكيل السلطة نيلها خصوصاً من قِبل اناس اكثرهم يجهلون القراءة والكتابة . فتلّح فؤاد باشا واللورد دوفرين المعتمد الانكليزي بهذه العريضة معاكسةً لقبول مرشّح فرنسة واستندا عليها لمنع تعيين حاكم وطني . واسفرت المسألة عن تعيين داود باشا على حكومة لبنان الجديدة التي دُعيت متصرفية وذلك في ٩ حزيران ١٨٦١ . وهكذا سقطت امنية فرنسة والموارنة باعادة حكم جبل لبنان بالارث الى امير ماروني وخابت مطامع يوسف بك كرم. كلُّ ذلك بدهاء فؤاد باشا ولسبب اختلاف معتمدي الدول

صدى مذبحة القديس برتلماوس

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كتب لنا قبل الشهر بعض كبنة الاقباط في مصر انَّ احدى الجرائد هناك نشرت فصلاً في مذبحة القديس برتلماوس ونسبت هذا الحادث الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وابنائها فطلبوا منَّا ان نميط الستار عن هذه الواقعة ونروي غشّها من سمينها . فتأخرنا